

ورقة عمل بعنوان
التخطيط العمراني بين الحاضر
والفقه الإسلامي

وليد عبد المنعم شتا
باحث برابطة الجامعات الإسلامية

مقدم

للمؤتمر العالمي الرابع للعمارة والفنون الإسلامية
دور العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر والنهضة الأوروبية
المنعقد بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية وجامعة قسنطينة 3
بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية
من الفترة 11 - 12 نونيه 2014م
قسنطينة3- الجزائر

مقدمة:

لقد خلق الله تعالى الإنسان لآعمار الأرض وإصلاحها وتنميتها، بالإعداد الجديد والتخطيط السليم، ومما لا شك فيه ولا ريب أن التخطيط العمراني هو مصلحة يعود بالنفع علي المجتمع بأسره في كافة القطاعات والخدمات، مثل قطاع الزراعة والصناعة والبيئي، من خلال التجديد والتطوير والتخصيص في مكان ما من الأرض.

وقد حثنا الفقه الإسلامي علي تحقيق التنمية العمرانية وإقامة المشروعات النافعة لخدمة البشرية في إطار ما يسمح به القانون واللوائح التشريعية التي تقدير الأمور بمقدار وبما تراه مناسباً، وما يسمح به من تلك المشروعات، انطلاقاً من تكليف الله تعالى لنا بإعمار الأرض وإصلاحها وتنظيمها تنظيم جديد، وتجميلها بصورة حضارية، وخير مثل التخطيط العمراني الإسلامي في البنايات والمساجد، فنجد التخطيط والتنظيم والفن الجمالي والذي يبرز مدي اهتمام الفنان المسلم بالفنون والعمارة الإسلامية المبنية علي أسس علمية مخططة ومنهجية.

هذا ولا بد أن يكون التخطيط العمراني مبنياً علي أسس علمية محكمة ومدروسة تحت أنماط وأبعاد بحيث يواجه المستقبل وتحدياته، عملاً بقول النبي صلي الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار)، وإنما يكون ذلك التخطيط من قبيل النفع العام للإنسان في الحاضر والمستقبل. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث الذي سوف أركز فيه علي مفهوم التخطيط العمراني وأهميته، ومجالاته، وأهدافه المرجوه منه، كما أقوم بتوضيح التخطيط العمراني العمراني في الفقه الإسلامي من خلال خصائصه، ومراعاة حقوق الله تعالى وحقوق العباد، ثم أتعرض إلي الجوانب التطبيقية للتخطيط العمراني في الفقه الإسلامي، فأتناول عمارة المساكن في الفقه الإسلامي وحكم بناء المساكن والضوابط التي تحكم ذلك البناء من منع الضرر عن العامة والخاصة، وأيضاً عدم الإسراف في البنين والنهي عن التشبه بالمجتمعات البعيدة كل البعد في سماتها عن سمات الإسلام وأوامره.

والله ولي التوفيق

المحور الأول: مفهوم التخطيط العمراني وأهميته:

أ- مفهوم التخطيط بشكل عام:

هو الأسلوب العلمي الذي يهدف إلى تقييم الحلول أو البدائل للمشكلات الحالية أو المتوقعة للمجتمع، وذلك في إطار خطة منظمة ذات سياسة وأهداف واضحة خلال فترة زمنية محددة تأخذ في الاعتبار الإمكانيات والموارد، كذلك المجددات الحالية أو المستقبلية سواء كانت طبيعية أو بشرية.

هذا ولا بد أن يكون التخطيط مبنياً على أسس علمية غير قابلة للخطأ، حيث يواجه المشكلات التي قد تحدث في المستقبل ويضع لها الحلول من خلال دراسة المشكلة وكيفية حلها بطرق مجدية وسريعة، والتحقق من سلامتها، سواء كانت المشكلة نتيجة عوامل طبيعية مثل حدوث الزلازل والبراكين وغيرها من التقلبات الطبيعية التي تترك أثراً في المجتمع، أو عوامل بشرية مثل حدوث خطأ من أي شخص تسبب في حدوث كارثة من شأنها التأثير على الخدمات والمرافق العامة بالمدن.

إذاً لا بد أن يكون التخطيط مبنياً على أسس علمية ودراسات وخطط محكمة ومدروسة ذات هدف واضح غير قابلة للخطأ وذلك لمواجهة المشكلات التي قد تحدث أثناء التنفيذ أو المتوقع حدوثها في المستقبل داخل العمل الميداني، بسبب العوامل الطبيعية التي لا دخل لأحد فيها أو بسبب عوامل بشرية.

ب- مفهوم التخطيط العمراني (1):

هو وضع خطة لتحقيق أهداف المجتمع في ميدان وظيفي معين لمنطقة جغرافية ما في مدي زمني محدد. هذا و لكي يتحقق أهداف التخطيط السليم فلا بد أن يكون موضوعاً له خطة مستوفاة وتشتمل على كافة النواحي الشكلية والموضوعية حتى يخدم المجتمع في كافة الميادين في فترة زمنية محددة طويلة المدى أو قصيرة المدى.

فلا بد من توافر شروط السلامة في التخطيط حتى يؤدي دوره في خدمة المجتمع ومن أهم تلك الشروط:

1- أصول التخطيط الإنشائي، م/ صلاح سيد عوض، دار الثقافة، القاهرة، 2005م، ص 32.

1- أن يكون مبنياً علي أسس علمية في كافة مراحلها، وهذا يتطلب أن يكون هناك دراسات موضوعية من قبل متخصصين في كافة مراحل تنفيذه، لتفادي الأخطاء.

2- أن يكون مرناً مرونة كافية لمواءمة التغيرات التي قد تستجد من خلال الفترة الزمنية المقررة لتنفيذه، فمن سلامة التخطيط السليم أن يكون قابلاً للتغيير إذا طرأت عليه تغيرات مفاجئة أثناء تنفيذه، فما يصلح اليوم لا يصلح غداً.

وأيضاً هو: " أداة ووسيلة لتحقيق المصلحة العامة، لكافة قطاعات وفئات المجتمع من خلال وضع تصورات مستقبلية لتوزيع الأنشطة والاستعمالات المختلفة للأرض المكان الملائم وفي الوقت المناسب، وبما يحقق التوازن بين احتياجات التنمية في الحاضر والمستقبل القريب والبعيد، وذلك في إطار تشريعي وقانوني واضح وملزم، ومن خلال عمليات وإجراءات محددة وبتنسيق وضمن مشاركة مجتمعية فاعلة".

فالتخطيط العمراني ما هو إلا مصلحة عامة يخدم المجتمع في كافة القطاعات وفئاته، مثل قطاع الزراعة والصناعة والعمران من خلال التجديد والتطوير والتخصيص في مكان ما من الأرض وتحقيق التنمية العمرانية عليها وإقامة المشروعات العامة لخدمة تلك القطعة الأرضية، في إطار القانون وما يسمح به من تلك المشروعات، وليس ذلك فحسب بل مشاركة الجهات المعنية للمشاوره وإبداء الرأي فيما إذا كانت تلك المشروعات تضر بالمصلحة العامة من عدمها، مثل أخذ رأي الهيئة العامة للآثار، وهيئة القوات المسلحة وغيرها من الجهات الأخرى ذات الصلة بالتنمية المجتمعية والخدمية في البلاد.

وأيضاً هناك تعريفات أخرى للتخطيط العمراني نجملها فيما يلي (2):

1- هو محاولة لتهيئة المناخ المناسب الذي يسمح للمجتمعات بإيجاد الوسائل الضرورية لتحقيق إطار معيشي ملائم لسكانها أي تتوافر فيه أسباب الراحة والرفاهية داخل المدن.

2- التخطيط هو الذي يتعلق بمنطقة جديدة بغرض تعميمها أو رفع مستواها الاجتماعي أو الاقتصادي، فتقوم الجهة المختصة بوضع الأسس المستقبلية لتنفيذ المشروع وتوضيح خطوات تنفيذه وحسن استغلال الثروات التي يتضمنها.

2- ورشة العمران والتخطيط والتهيئة المجالية، مصطفى مدوكي، ط جامعة محمد خضير، بسكرة، الجزائر.

ج- أهمية التخطيط:

احتل التخطيط العمراني في العصر الحاضر مكاناً بارزاً بين الموضوعات التي تتسابق الأمم في الأخذ بأساليبها للنهوض والسير قدماً في مسيرة الحضارة البشرية، ووفقاً لأهداف محددة واضحة المعالم للتطور في شتى مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والبيئية نظراً لسعة مفهوم التخطيط وتعدد مجالاته وتشعب فروعها.

ويعد التخطيط لاستعمال الأرض وبناء المدن جزءاً من التخطيط الشامل علي مستوى الاستعمال المعين أو المحدد أو ضمن خطة عامة علي مستوى الأحياء أو المدينة ككل، ويتم تخصيص الأرض - المحددة للاستعمال - داخل المدن علي عاملين.

الأول: تبني المخطط مبدأ الاستعمال الأمثل، حيث إن كل قطعة أرض لا بد أن تؤدي وظيفة معينة تخدم المصلحة العامة، مع التأكيد علي أن مفهوم الاستعمال الأمثل هو مفهوم نسبي يختلف من مكان لآخر ومن استعمال لآخر، هذا والغالب أن أصحاب الأراضي يرغبون في تخصيص تلك الأرض في الأغراض التي تحقق لهم أكبر قدر من الدخل والمصلحة. دون مراعاة تحقق المصلحة العامة التي تعود علي المجتمع بأسره.

العامل الثاني: تبني المخطط مبدأ تعدد الاستعمالات، ويتم اللجوء إلى هذا المبدأ في المدن التي تندر بها الأراضي ذات الخصائص والمواصفات المناسبة وبشكل عام تزداد المنافسة بين الاستعمالات الحضرية كلما زادت كثافة السكان بالمدن⁽³⁾.

ويعد التخطيط العمراني عملية متداخلة يتم من خلالها ربط ودمج المعطيات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والقانونية من أجل الخروج بنمط استعمال معين، وهو رفع مستوى المعيشة المناسبة لأفراد المجتمع لتنهض بهم، هذا وقد يتعرض التخطيط إلي تيارات متناقضة من الضغوط ومعوقات تحول بينه وبينها إلي عرقلة، مثل المواقع المحددة، وكيفية تبني المواصفات المرغوبة في عملية التخطيط، وغيرها من الأمور التي تحول دون عملية اكتمال التخطيط وتنفيذه، كل ذلك يتطلب اتخاذ قرارات وإجراءات صحيحة من ذوي الخبرة من أجل تفادي هذه المشكلات من حيث: تخصيص الأراضي المناسبة للاستعمالات المختلفة

3- أهمية وأهداف التخطيط الحضري، تيسير حامد أبو سنينة، الموسوعة الجغرافية، المجلة الجغرافية

بهدف استعمال أمثل للأراضي بعد أن يقيم جميع العوامل الاقتصادية والطبيعية لمساحة الأرض (4). إذ إن مهمة التخطيط العمراني هي (توفير البيئة الصالحة) أي توفير البيئة المناسبة وحسب الاستعمال المخصص لها، فالبيئة السكنية مثلاً تحتاج إلى أن تكون بعيدة عن التلوث والضوضاء وبعيدة عن طرق النقل السريعة وتوفير المناطق الخضراء وطرق وخدمات مختلفة بالشكل الذي يلي كل متطلباتها.

ويشهد الوقت الحاضر تحولات اقتصادية واجتماعية وإدارية من قبل مراكز متخصصة في مجال التخطيط العمراني نحو تخطيط المدن ومشمولاتها من المباني والمدارس والمساجد والمصانع وغيرها من الخدمات التي تبني داخل المدن، بحيث تأخذ منحى جمالي يتوافق مع حركة تجميل المدن ورونقها. حيث تركز دراسات أخرى علي عمليات التنظيم المكاني، حيث إن تخطيط العمراني للمدن يعني أن تكون المدينة مستعدة لنموها وتطويرها مستقبلاً⁽⁵⁾.

لذا تأخذ عملية التخطيط الأبعاد التالية:

- 1- التخطيط دراسة شاملة، منظمة، متسلسلة، تحليلية، فنية، علمية.
- 2- التخطيط عملية تهم الاقتصاد الاجتماعي للإنسان.
- 3- التخطيط يتضمن موازنة ما بين الأجزاء العامة وعلاقتها بالكل، أي عند موازنة ما بين الأشياء والقوي البشرية.
- 4- التخطيط يتضمن تنفيذ الخطط والاعتراف بالقدرة العلمية البشرية المؤثرة، وكذلك الظروف الطبيعية والاجتماعية للبيئة من أجل إنجاز مجموعة من الأهداف المنظمة للتخطيط.
- 5- التخطيط يحدد وفق سياسة الدولة ويطبق بواسطة قوة القانون الرئيسي للتخطيط.

4 - دراسات في جغرافية المدن، محمد محمود سليمان دار الثقافة والنشر، القاهرة، 2001م.

6- التخطيط عملية تتم وفق مراحل زمنية معينة منها القصير والمتوسط والطويل
المدى، وهو الوقت المخصص لتنفيذ الخطة، وكذلك يتم ضمن مناطق جغرافية
منها التخطيط المحلي والقُطري والإقليمي والعالمي (6).

6- التخطيط الحضري للمدينة بين التطبيق والنسيان، عبد الرازق أحمد صعب، الدراسات التربوية، العدد السابع، 2009م، ص 163.

المحور الثاني: أهداف التخطيط العمراني.

يتميز التخطيط الحضري بكونه تقييماً منهجياً منظماً، يهدف إلى اختيار أنماط الاستعمال المستدام والصالح للأرض، من أجل تلبية احتياجات السكان والمحافظة على البيئة في نفس الوقت، بالإضافة إلى دراسة الواقع الحالي للاستعمالات الحضرية ومعرفة ما فيها من إيجابيات والعمل على تطويرها وحسن استعمالها، وتحديد الجوانب السلبية للعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها.

وبشكل عام يرمي التخطيط الحضري إلى أهم الأهداف التالية:

1- التوصل إلى ترتيب وتنظيم مدروس ومناسب لاستعمالات الأرض الحضرية، وتحديد مواقع الأنشطة المختلفة بهدف توفير الراحة للسكان، وإشباع حاجاتهم وتلبيتها في إطار قانوني مشروع، مثل تحديد أماكن المساكن المناسبة، والأماكن الترفيهية، وأماكن التسوق ودور العبادة وغيرها من المرافق التي تخدم السكان والمدينة.

2- التخطيط من أجل مواجهة النمو في اتساع المدينة والحاجة إلى السكن والتوظيف، بحيث تكون الأرض المراد استعمالها متسعة وتكون قابلة للتطوير في المستقبل إلى جانب توفير وإضافة مباني أخرى.

3- التخطيط من أجل مواجهة البطالة التي تؤدي إلى الجريمة وانتشار المخدرات، من إقامة مشروعات ومصانع وغيرها من المرافق التي بدورها تساعد على إيجاد فرص عمل للشباب، ومن ثم منعهم من ممارسة أعمال تتنافى مع السلوك السليم والقيم.

4- تحقيق التنمية الحضرية المتوازنة والمستدامة والمحافظة على النظام البيئي والحضاري. فالتخطيط العمراني السليم والموضوع بخطة شاملة هو الذي يحقق المحافظة على البيئة الحضرية من خلال التنسيق بين المرافق الحيوية من تزيين وتجميل المدن وغيرها من الهيئات المنوطة بها المحافظة على النظام البيئي.

5- مواكبة التطور الاقتصادي وارتفاع المستوى الحياتي للمواطن بتجهيزات تجارية وترفيهية. فالتخطيط العمراني الحديث دائماً ما يكون لديه خطة عاجلة إذا ما طرأ أي تغيير بمواكبة التطور الاقتصادي من إضافة وتجهيز وحدات تجارية وترفيهية، نظراً للزيادة والإقبال الشديدين على تلك المدن الجديدة فراراً من المدن المزدحمة.

6- مواكبة التطور العلمي والثقافي لدى السكان بتجهيزات علمية وثقافية.

وأيضاً تكون هناك خطط عاجلة بتطوير المراكز الثقافية والعلمية بأحدث الوسائل المتاحة والتي تخدم المدن الجديدة.

7- تقليل فترة الانتقال بين المسكن والعمل والأماكن الترفيهية لأن السكان سيحتاجون إلى مواصلات. فالتخطيط العمراني الحديث دائماً ما يشمل كل الخدمات السكنية والترفيهية، وجهات العمل بحيث تقلل من الوقت بين المسكن والعمل، وتوفير كافة وسائل النقل المريحة داخل تلك المدن.

8- الحفاظ علي التراث العمراني كقيمة تراثية. فمما لا شك فيه أن التخطيط العمراني الجديد يكون تكلفته ذات قيمة عالية، ومن ثم يجب الحفاظ عليه.

9- الحفاظ علي التوازن الطبيعي باستغلال موارد البيئة والحفاظ علي الشواطئ والمناطق الجبلية.

11- حماية الصحة العامة للأفراد وخاصة في مجال التلوث وخلق مناطق خضراء، فالمساحة المراد استعمالها لا تكون جميعها مخصصة للبنيان السكني والترفيهي والتجاري فقط، بل لابد من تخصيص مساحات خضراء تحمي الأفراد من التلوث.

12- مراعاة جمالية المدينة تتطلب تزيين الشوارع وتنوع أشكال المساكن.

13- الحفاظ علي توازن المجتمع وأمنه والجميع سواسية ولا تفرقه بينهم (7).

وغيرها من الأهداف التي من شأنها أن تؤدي إلى وضع التخطيط موضع التنفيذ وانتهائه بالشكل الحضاري والذي يخدم المجتمع بأسره.

7- نظريات التخطيط الحضري، غانم سلطان أمان، 2009.

المحور الثالث: التخطيط العمراني في الفقه الإسلامي

أولى الفقه والقضاء الإسلامي عمران البيئية وأحكام البنين عناية كبيرة من أجل تحقيق الأمر الإلهي بعمارة الأرض عمارة صالحة دون إفساد فيها أو اعتداء علي حقوق الآخرين، وتحقيقاً لمصالح العباد بتوافر البيئة المبنية الملائمة التي تكفل لهم المعيشة والحياة الهادئة في المجتمعات والمستوطنات الإسلامية في كل زمان ومكان.

واعتمد الفقهاء والعلماء في تناولهم لأحكام العمران والبنين علي آية وردت في القرآن الكريم، وحديث ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، فأما الآية فهي قوله تعالى: { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } (8)، أما قول النبي صلى الله عليه وسلم: { لا ضرر ولا ضرار } (9)، واحتلت قاعدة لا ضرر ولا ضرار باباً واسعاً في فقه العمارة الإسلامية.

خصائص التخطيط العمراني في الإسلام:

إن أهم خاصية من خصائص التخطيط العمراني في الفقه الإسلامي هي السترة وعدم كشف العورات، ولقد وضع لها الفقهاء قواعد فقهية محكمة تعالج الحساسية العالية للمجتمع المسلم من التكشف ولاتقاء ضرره، وتمت صياغة هذه القواعد في شكل خصائص تشريعية يسهل استيعابها والاستفادة منها في التشريع العمراني المعاصر، وتحتاج إلى قرار سياسي يلزم أصحاب التخصص الرأي والمشورة في ميدان التخطيط العمراني بمراعاتها وأخذها في الاعتبار في المدن المعاصرة الجديدة. ومن أهم تلك الخصائص:

1- حقوق الله تعالى وحقوق العباد:

فإن مسألة كشف العورات تقع بين حقين من الحقوق هما: حق الله تعالى وحقوق العباد، والفرق بين الحقين هو أن الأول: مرتبط بنواهي الشرع وأوامره، وليس للعبد حق في إسقاطه أو التسامح فيه، فحق الله تعالى في مسألة التكشف وعدم التستر هو نهي عن الاطلاع على عورات المسلمين والنظر إلى حرمتهم.

والحق الثاني: هو حق الإنسان في مسألة الاطلاع فيما يحتاج إليه من التصرف والحركة في بيته من قيام وقعود وجلب منافع ودفع مضار، ومن هنا فإن التكشف والاطلاع وقع بين

8- الأعراف آية: 199.

9- الأحكام لأبن ماجه.

حقين أحدهما ليس للمسلم التسامح فيه بفتح نوافذ في بيته أو فتحات من الممكن الاطلاع منها على حرماته، وكذلك الساكن الذي يعرض بيته للاطلاع يكون واجب السلطة في بلاد الإسلام منعه وإكراهه على التستر .

هذا القول لا يعجب كثيراً من أصحاب الفكر العلماني المعاصر الذين ينادون بالتكشاف حتى في المسكن؛ ظنا منهم أنه معلم من معالم الحضارة، ولا سيما وأن العمارة العصرية قد نشأت وتطورت في ظل الفكر العلماني الهدام الذي قلّص أو غيّب دور القيم الأخلاقية والدينية في حياة المجتمع؛ ولذلك جاءت العمارة العصرية نموذجاً مفتوحاً على الخارج؛ لا يعير اهتماماً كبيراً لمسألة السترة وعدم التكشف.

2- ستر العورة:

هذه الخاصية تحمي الخصوصية التي تتمتع بها الأسر في مساكنهم، فأحكام البنين الإسلامية ركزت علي نفي الضرر أكثر من وضع وصفات جاهزة للتصميم والتخطيط، فجاءت الأحكام الخاصة بنفي الضرر من الأبواب والأسطح، لتضع الحلول الكفيلة بتوفير الخصوصية للمسلمين في بيوتهم، فوجود وسائل معمارية تمنع من غزو خصوصية الأسر، مثل رفع منسوب جلسات الكوي إذ هو في حد ذاته وقاية من خطر الوقوع في سلوك غير مشروع، وهذا يتفق مع الأوامر الشرعية الداعية إلي غض البصر وعدم تتبع عورات الناس وحفظ حقوق الجوار (10).

10- أحكام البنين الإسلامية نشأتها ومجالها، بديع العابد، مجلة المهندس الأردني، عدد 51، 1993م، ص13.

المحور الرابع: الجوانب التطبيقية للتخطيط العمراني في الفقه الإسلامي

عمارة المساكن في الفقه الإسلامي:

لقد جعل الله تعالى المسكن من النعم التي أنعمها علي عباده، والتي تعد حاجة فطرية وضرورية إنسانية فقد قال تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّوهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ} (11)، فيذكر الله تبارك وتعالى في هذه الآية نعمه علي عباده مما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ويستترون فيها، وينتفعون بها بسائر وجوه الانتفاع، يقول القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية: وفي الآية تعدد نعم الله تعالى علي الناس في البيوت، فذكر أولاً بيوت المدن وهي للإقامة الطويلة بدليل قوله: (سكناً) أي تسكنون فيها وتهدأ جوارحك من الحركة، ثم ذكر تعالى بيوت النقلة والرحلة وهي في قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّوهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ}. هذا وقد حرصت الشريعة الإسلامية على تنظيم عمارة المساكن والمدن، ووضعت الضوابط التي تضبط بناءها بما يتوافق مع الحكمة الرئيسية من وجودها وهي الستر وتحقيق السكنينة والأمن، من حيث حكم البناء وضوابط بناء المسكن، وهذا ما نوضحه علي النحو التالي (12).

أولاً: حكم بناء المساكن.

القاعدة العامة في الفقه الإسلامي تقول (الأصل في الأشياء الإباحة)، فالبناء أمر مشروع ومباح تثبت مشروعيته من القرآن الكريم والسنة النبوية، وهو ضرورة من ضرورات الحياة.

أما من القرآن الكريم:

يقول الله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} (النحل آية 80). وقد سبق توضيحه. ويقول أيضاً: {وَادْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُوبِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} (الأعراف

- النحل آية: 80، 11.

10- ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي، أحمد محمد السعد، أعمال مؤتمر في قضايا الصحة والبيئة والعمران، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة اليرموك، الأردن بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية، 2003م، ص 5.

آية 74). يبين الله تعالى في هذه الآية أنه مَكَّن لكم في الأرض الطيبة تنزلونها، فتبنون في سهولها البيوت العظيمة، وتنتحون من جبالها بيوتاً أخرى، فاذكروا نِعَمَ الله عليكم، ولا تَسْعُوا في الأرض بالإفساد (13).

أما السنة النبوية:

فقد وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن وبينت أهمية اتخاذ المساكن وأنه حق للإنسان منها:
* - عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ليس لابن آدم حق في سوي هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يوارى عورته، وجلف الخبز، والماء) (14) والجلف هو الوعاء.

* - عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح (15).

* - عن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كان لنا عاملاً فليكتسب زوجة، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكناً. قال أبو بكر رضي الله عنه: أخبرت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق (16).

هذا وتدل الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة علي جواز بناء واتخاذ المساكن والأبنية، فإنها تعد سترة واستقرار نفسياً للإنسان، فلا يتجاوز في ذلك إلي ما فيه بذخ وسرف وتترف، بما يراعي احترام الإنسان لحقوق أخيه الإنسان في مسكنه، فلا يكشف ستراً، ولا يحجب شمساً ولا هواءً ولا يتسبب له بأي أذى.

فقد أخذ التخطيط العمراني الحديث بهذه الأمور وراعي في تخطيط المدن الجديدة عدم الأذى للسكان فيما بينهم، واحترام المبادئ الإنسانية بينهم.

13 - التفسير الميسر.

14- رواه الترمذي.

15- رواه أحمد في مسنده.

16- رواه أبو داود في سننه.

ثانياً: ضوابط بناء المسكن.

وبعد أن بينا أن البناء هو أمر مباح بالنسبة للإنسان وحاجة من أهم احتياجاته لمواجهة الحياة، فهل هذا الأمر المباح مباح على إطلاقه، أم أن هناك ضوابط له؟ فلا يوجد أمر مباح إلا واقتزن بضابط له، ومن أهم ضوابط البناء هي ما يلي:

1- منع الضرر عن العامة والخاصة:

وإذا كان الإنسان أو من كان من شأنه أن يبني فلا بد من مراعاة عدم الضرر عن الناس كافة، لهذه رتب الشريعة الإسلامية مجموعة من الحقوق للعامة والخاصة، وطالبت المكلفين بالبناء عدم الاعتداء عليهم، ومن أمثال هذه الحقوق حق الجوار، وحق الشفعة، وحق الارتفاق، وحق التعلية، وهذه الحقوق لا تتغير لأن واضعها هو الشارع عز وجل، هذه الحقوق كلها جاءت تحت نص (لا ضرر ولا ضرار) والذي يعد أساساً لهذه الضوابط (17).

والحاق الضرر بالآخرين يكون بإحدى صورتين هما:

الأولى: أن يكون التصرف الغرض منه مجرد إلحاق الضرر بالغير، أي أن يكون الشخص مبيت النية لإلحاق الضرر، وفي هذه الصورة يعد هذا التصرف محرماً شرعاً.

الصورة الثانية: أن يكون الغرض لا يقصد منه الضرر ولكن قد يؤدي إلى إلحاق ضرر بالآخرين، مثل أن يتصرف في ملكه بما فيه مصلحة له، فيتعدى على غيره دون قصد.

2- عدم الإسراف في البنين والنهي عن التشبه بالظالمين:

المسلم يجب ألا يكون مسرفاً ومغالياً في البنين، فقد نهي الإسلام عن المتناول في البنين والبناء الزائد عن الحاجة، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم أن المتناول في البنين من علامات الساعة، جاء هذا الإخبار في معرض الدم، أنه سيأتي زمن يتناول الناس فيه بالبنين ويتخذون العقار ويننون الدور والقصور المرتفعة، فقد جاء في نص الحديث: (أن تري الحفاة العراة رعاء الشاء يتناولون في البنين) (18).

يقول ابن رشد: المتناول في البنين مكروه، بدليل ما جاء في حديث أشراط الساعة، وأورد قصة رواها عن الإمام مالك جاء فيها: مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه علي منزل طويل

17- ضوابط بناء المساكن في الفقه الإسلامي، أحمد محمد السعد، أعمال مؤتمر في قضايا الصحة والبيئة والعمران، مصدر سابق.

- فتح الباري لشرح صحيح البخاري، لابن حجر. 18.

البناء فجلس في ظله حتي جاء صاحبه فقال له، ما حملك علي أن أطلت هذا البناء، فقال: ما أطلته أشرأً ولا رياءً، غير أني كنت ببلد يطيلون البناء، فاتخذت مثله، قال عمر: اظن الأمر علي ما قلت ولكن أقصر لا يتأسي بك أحد حتي ترده مثل الناس (19).

ولكن في العصر الحاضر نجد بعض الدول تُغالي في البنين وترتفع إلي أقصى ارتفاع، حتي أطلق علي هذه البنين المرتفعة (ناطحات السحاب)، تحت شعار التخطيط العمراني الحديث، البناء من أقل مساحة إلي أكبر ارتفاع، وهناك بعض الدول قد لجأت مؤخرًا إلي البنين المنخفض الذي لا يتجاوز أقل ارتفاع مسموح به، فنجد في المدن الجديدة في مصر مثلاً أن أقصى ارتفاع هو ثلاثة أو أربعة طوابق، ذلك هو التخطيط العمراني السليم. فنجد أن الفقه الإسلامي تحدث عن التخطيط العمراني بأدق التفاصيل من حيث المساحة ومن حيث الارتفاع ومن حيث بعد البنين بعضها عن بعض منعاً لضرر الجيران، هكذا عظمة الإسلام الحنيف.

وغيرها من الضوابط التي من شأنها أن تحكم البنين والتخطيط للأبنية الجديدة منها: **المتانة والقوة**: اللذان من شأنهما أن وديا إلي سلامة البنين وأمنه، من الانهيار والصدوع، كل ذلك يتوافق مع مقاصد الشريعة الإسلامية تحت مسمى الكليات الخمس للشريعة والتي منها حفظ النفس، والذي يحقق حفظ الإنسان علي نفسه والاستقرار والطمأنينة في مسكنه، ولكي لا يكون معرض للسقوط عليه من فيه.

ومن الضوابط أيضاً: **طهارة المواد المستخدمة في البناء**: حتى يعيش الإنسان مطمئناً في مسكنه ينبغي ألا يستعمل المواد النجسة أو المحرمة فلا يعد الطين مخلوطاً بمواد نجسة أو مجبولاً بخرم، أو غيرها من المواد الأخرى.

- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل، ابن رشد، درا الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1988م، ص 137.19

الخاتمة:

مما تقدم من خلال هذه الورقة البحثية، يتضح لنا أن التخطيط العمراني من الأهمية بمكان، إذ هو الأسلوب العلمي والأداة والوسيلة لتحقيق المصلحة العامة لكافة الناس في جميع وسائل الحياة التي يحتاجها المجتمع البشري علي اختلاف طبقاته وفئاته. فالتخطيط يهدف لي تقديم الحلول والبدائل للمشكلات التي تواجه المجتمعات سواء الاقتصادية والاجتماعية والبيئية وغيرها من المشكلات المستقبلية. وقد حاولت أن أوضح أهمية التخطيط العمراني وأهدافه ومجالاته، وإظهار أن التخطيط العمراني الذي حثنا ديننا عليه ونبهدنا إلي الاهتمام به من أجل البناء والتأسيس علي مرتكزات وقواعد علمية متسقة ومنسقة من خلال التخطيط لكل ما نهدف إليه ونبغيه في حياتنا الحالية والمستقبلية.

وأدعو الله تعالي أن أكون قد وفقت في إظهار ما هدفت إليه هذه الورقة
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين